

## من غرائب النسيان . . . !

للدكتور أحمد فؤاد الأهواني



لصادقته ، فأحضر لي صورة تمثل منظرًا ريفيًا على شاطئ النيل ، ولم تكن مبهورة باسمه ، فقلت له : ضع عليها خاتمك ، فرفض . ولم أنقل عليه ، لأنني فهمت ما يقصد : الصورة أعجبتني ، ولكنني لا تمجبه ، ولو أنه صانها !

فإذا كان الأستاذ عبد الغني قد نسي شعره ، فذلك لأنه فنان يسخط على ما يفعل ، ولا يرضى عما يبدع ، إذ يتطلع دائمًا إلى الكمال والترقي . ولو رضى الناس عن أعمالهم ما تقدموا . وإكبر الظن أن الصورة الشعرية تكون في الذهن بالغة غاية الروعة ونهاية الكمال ، غير أن تحقيقها في السادة ، وصياغتها في أبواب من الألفاظ هو سر نقصها . والمادة هي علة النقص في الوجود .

وأذكر حادثة أخرى من نوع آخر :

ركبت المترو من عماد الدين ، حتى إذا بلغت مصر الجديدة في إحدى محطاتها المتوسطة ، سألتني أحد الركاب - وكان يجلس أمامي - هل هذه الحافظة لك ؟ فنظرت إلى جانبي فرأيت مكان الراكب الذي كان إلى جوارى خاليًا ، ورأيت حافظة نقود ليست حافظتي . قلت : إنها ملك الراكب الذي نزل ! وهنا سألت نفسي : ما شكلة ؟ هل هو شاب أو شيخ ؟ هل هو هزيل أو بدين ؟ هل هو أبيض أو أبيض ؟ كل ذلك لم أذكر منه شيئًا كأن أحدًا لم يجلس إلى جانبي . ثم تناولنا الحافظة وفتحناها ووجدنا فيها أوراقًا باسم « عماد » . وبدأ لي أن أنادي هذا الاسم لعل صاحبه يستجيب ، فقلت : عماد ... والتفت شاب أوشك أن ينصرف في أعماق الشارع ، ولوحت له بالحافظة فأدرك المقصود ، وعاد مسرعًا وأخذها شاكرًا . هنا فقط تذكرت ؛ أو على الأصح تعرفت عليه ، وبأن لي أنني تأملت هذا الشخص حين كان إلى جوارى ، إذ كان يقرأ كتابًا باللغة الإنجليزية فيه أشكال رياضية ، واستنتجت عند ذلك أنه طالب في كلية الهندسة أو كلية العلوم ، وكان يلبس بظلمة وقيصًا فقط . ثم سألت الراكبين : هل يذكر أحدكم هذا الشخص ؟ فقالوا جميعًا : لا . قلت في نفسي : لو أن هذا الشخص ارتكب حادثة أو جنائية ، ولم تكتشف إلا فيما بعد ، ثم طلبنا البوليس إلى الإدلاء بالشهادة فماذا كنا نجيب ؟ ثلاثة رجال لا يتذكرون شيئًا عن شخص رابع ظل يجلس معهم نصف ساعة على الأقل ، ووقمت أبصارهم

كنا جماعة نتحدث في شتى الشئون ، فأطلعنا الأستاذ محمد عبد الغني حسن على كتاب فرنسي طبع حديثًا نقل فيه صاحبه مقتطفات من الشعر العربي إلى اللغة الفرنسية ، وكانت إحدى هذه القصائد بعنوان « تحت الشراع » للأستاذ عبد الغني ترجمها الناقل عن مجلة « الرسالة » عام ١٩٤٠ . وتبعنا الشعر الفرنسي محاولين رده إلى أصله العربي فمجزنا ، وهنا طلبنا من صاحب الشعر - أي الأستاذ عبد الغني - أن ينشد شعره الذي نظمته ، فأجاب : لقد نسيت ! قلنا : ألا تذكر مطلع القصيدة ؟ قال : لا . قلنا : ولا بيتًا واحدًا ؟ قال : لا . وهنا بلغ منا المعجب مبلغه ... كيف ينسى صاحب الشيء شيئًا هذا النسيان الغريب ! ومن المعروف أن كثيرًا من الشعراء يحفظون شعر أنفسهم ولا ينسون وينشدونه في المناسبات . ومن هؤلاء على سبيل المثال صديقنا الشاعر غنيم . غير أن السؤال الذي يحتاج إلى جواب هو : لماذا ينسى المرء أعماله وآثاره ، وبمعنى آخر : لماذا ينسى نفسه ؟

قلت في تعليل ذلك - وسكت الأستاذ عبد الغني عند هذا التعليل دون تعليق - : إن الشاعر شخص مبدع خالق مبتكر قبل كل شيء ، مثله في ذلك مثل الفنان الذي يبدع آثارًا فنية ، كالتماثيل التي يصنعها النحات ، أو اللوحات الزيتية التي يرسمها المصور ، والشعر كالتماثيل أو كاللوحة الزيتية ، يتركب من شيئين : من المعنى الخائر في الذهن ، أو الفكرة البتدعة في صفحة الخيال ، ومن مادة يصوغ فيها الفنان هذه الفكرة : فادة التمثال الرخام أو النحاس ، ومادة اللوحة الألوان ، ومادة الشعر الألفاظ . وكثيرًا ما يسخط الفنان على عمله فلا يرضى عنه ، وعندئذ يحطم النحات تماثله ويكسره ويأبى أن يظهره ، أو يحرق المصور لوحته ، وقد يتركها دون أن يتمها ، أو يأبى وضع اسمه عليها . تعرفت بمصور بمدينة النصورة كان يشتغل مدرسًا بها ، اسمه الأستاذ حلي ، ثم طلبت منه صورة زيتية من ريشته أحفظ بها تذكارًا